قراءة

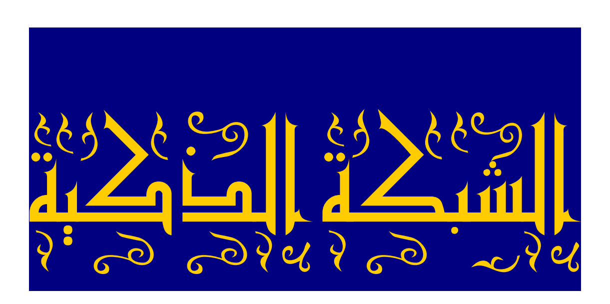
في الفكر اليهودي

بقلم

اسماعيل الكيلاني

APPROVED

التنسيق



مصدر البحث

مجلة الفسطاط

مجلة الأمة، العدد ٥٩، ذو القعدة ١٤٠٥ هـ

في الفكر اليهودي

من الأمور التي لا يجادل عاقل فيها، أن معرفة العدو معرفة حقيقية تشمل إمكاناته المادية والمعنوية، وأهدافه ودوافعه، والوسائل التي يستخدمها، هي أول الطريق لتحقيق النصر عليه، وما لم تتحقق هذه المعرفة فسيبقى العدو منتصراً، يفرض شروطه، ويسير نحو تحقيق غاياته وأهدافه، ونحن العرب والمسلمين أحق الناس بالتعرف على عدونا الذي احتل أرضنا، ودنّس مقدساتنا، وهتك الكثير من أعراضنا، وشرّدنا فوق كل أرض وتحت كل كوكب، إذا أردنا أن نسلك الطريق السوي الذي يحقق النصر، ويضمن استعادة العزة والكرامة.

في عام ١٩٣٤م طبع كتاب بمصر بعنوان "يقظة العالم اليهودي" من تأليف اليهودي "إيلي ليفي أبو عسل" يحدد فيه تاريخ الحركة الصهيونية بما يلي: "إذا أمعنا النظر جيداً نرى أن تاريخ الصهيونية يتناول أربعة أزمنة مختلفة: الأول: زمن التوراة. والثاني: الزمن السابق لهرتزل. والثالث: الزمن المعاصر لهرتزل، والذي يبتدئ من سنة ١٩٠٤م إلى سنة ١٩١٨م. والرابع: الزمن التالي لتصريح بلفور". (ص١٦). ويؤكد أن موسى عليه السلام «كان أول من شيد صرح الصهيونية، ووطّد دعائمها، ونشر مبادئها السياسية، وقد أثبت الواقع أن الصهيونية ليست في عهدنا هذا سوى حلقة من سلسلة متصلة حلقاتها بعضها ببعض اتصالاً وثيقاً ومتواثقة أجزاؤها تماسكاً محكماً شديداً» (ص٢٢).

وفي عام ١٩٣٨م طبع في القاهرة ترجمة عربية لكتاب «**في الفكر اليهودي**» [١] الذي كان قد جمعه حاخام يهود في الإمبراطورية البريطانية، نقلها عن الإنكليزية رئيس قلم الترجمة بوزارة الزراعة المصرية في الثلاثينات من هذا القرن «الدكتور ألفريد يلوز»، ويعتبر هذا الكتاب «**إنجيل الصهيونية**» قدمها للقارئ «حاييم ناحوم» [٢] الذي وصفه بأنه: «لؤلؤة جديدة يستقبلها بسرور مزدوج، وابتهاج مضاعف.. ستجد فيه الشبيبة اليهودية –فتيانها وفتياتها- شجاعة تساعدها في اقتحام مضمار الحياة، والخروج ظافرة منتصرة من المعركة..» ووصف الحركة الصهيونية قائلاً: «إنها اليوم أعظم بل أشهر حركة يعرفها التاريخ اليهودي». وقد ورد في أحد أناشيده ما يلي:

مثل قصف الرعدِ يشق لهيب السجن نصفين
سيدوّي في آذاننا صوت صادر من صهيون
وينادينا قائلاً: يجب أن تظل نفوسكم توّاقة إلى الأبد
لأرض آبائكم وأجدادكم
حتى ننقذ من يد الأعداء نهرنا المقدس
وعندما نعود إلى ضفاف الأردن سنحط رحالنا
فقسماً باسمك المقدس، لن نتنصل من القتال
إذا ما دقّت طبول الجهاد..

---

[١] يستمد الفكر اليهودي جذوره من منبعين أساسيين هما **التوراة والتلمود**. والتوراة في أصلها «صحف موسى» عليه الصلاة والسلام، التي ضاعت في ثنايا التوراة المتداولة المحرفة التي تجعل الله عز وجل شخصاً يخطئ ويصيب، يحب ويكره، يغضب ويرضى، يأكل ويشرب وينام، متعطشاً للدماء ولا يرتوي منها.. تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، وتجعل من الأنبياء مجرمين سفاحين، وزناة قوادين، يشربون الخمر، ويعبدون الأصنام، يمكرون ويتآمرون –قاتلهم الله أنى يؤفكون- فهم الأبرار الأطهار صلوات الله وسلامه عليهم.
والتلمود وضعه أحبار يهود في الأصل لذم المسيح عليه الصلاة والسلام وأمه العذراء البتول وتلامذته الحواريين بكلام فاحش بذيء، وهو كتاب تعليم ديانة اليهود وآدابهم [يقوم مقام السنة النبوية في ديننا]. وإلى جانبهما بض المنابع الفرعية التي يمثلها بعض الكتب اليهوديةن منها: بروتوكولات حكماء صهيون، روما والقدس: لموسى هيس، التحرير الذاتي: لبنسكر، الدولة اليهودية: لهيرتزل..
يقول بن غوريون: «تستمد الصهيونية وجودها وحيويتها من مصدرين: مصدر عميق عاطفي دائم مستقل عن الزمان والمكان، وهو قديم قدم الشعب اليهودي ذاته، هذا المصدر هو الوعد الإلهي والأمل بالعودة. أما المصدر الثاني: فقد كان مصدر تجديد وعمل، وهو ثمرة الفكر السياسي العملي الناشئ عن ظروف الزمان والمكان، والمنبعث من التطورات التي شهدتها شعوب أوروبة في القرن التاسع عشر، وما خلّفته هذه الأحداث الكبيرة من آثار عميقة في الحياة اليهودية» (نظام التعليم وفلسفته في إسرائيل: ٣٢).

[٢] حاخام الطائفة اليهودية في الدولة العثمانية أيام الاتحاديين، عمل مع: استراوس ومورجانتو اليهوديين سفيري الولايات المتحدة في الآستانة، للقضاء على الجواز الأحمر الذي كان السلطان عبد الحميد الثاني رحمه الله قد وضعه بعد أن أدرك تآمر يهود ومكرهم للاستيلاء على فلسطين وجعلها دولة لهم، وذلك لمنعهم من الاستقرار فيها.. مثّل هذا الحاخام تركيا الكمالية في مؤتمر لاهاي وفي مؤتمر لوزان الذي تمت الموافقة فيه على إلغاء الخلافة، وقد ألغيت عام ١٩٢٤م؛ وعلى استخدام الحرف العربي لكتابة اللغة التركية واستخدام الحروف اللاتينية؛ واستبدال القوانين الوضعية الأوروبية بالقانون العثماني المستمد من الشريعة الإسلامية «مجلة الأحكام العدلية»، اختاره بعد ذلك أتاتورك ليكون سفيراً له لدى الولايات المتحدة فرفض وفضّل الذهاب إلى مصر حيث أصبح حاخاماً أكبر لليهود فيها، وعضواً في اللجنة التي وضعت الدستور التي حُكِمت به مصر ثلاثين عاماً، توفي في القاهرة عام ١٩٥٥م.

يأتي هذا التحريض ضدنا، ووصفنا بالأعداء، في الوقت الذي يعترف فيه الكتاب نفسه بأن بلاد المسلمين هي التي حاطت يهود بالرعاية والعطف، وعاملتهم بسماحة يوم أن كانت «جميع الأمم النصرانية تهاجمهم، وتشبعهم شتماً وامتهاناً، واحتقاراً، وسلباً ونهباً» وأنه عندما طردهم من إنكلترا «إدوارد الأول» ومن فرنسا «شارل السادس» «لم يجدوا ملجأ إلا الأندلس حيث حاطهم أمراء الإسلام بعطف خاص».

الأرض والشعب

كتب بيغن في كتابه «**الثورة**: ٣٢٥» يقول: «منذ أيام التوراة وأرض إسرائيل تعتبر أرض الأمم لأبناء إسرائيل، وقد سميت هذه الأرض فلسطين. وكانت تشمل دوماً ضفتي نهر الأرض ولبنان الجنوبي، وجنوب غربي سورية، إن تقسيم الوطن عملية غير مشروعة، ولن يحظى هذا العمل باعتراف قانوني، وإن تواقيع الأفراد والمؤسسات على اتفاقية التقسيم باطلة من أساسها.. وسوف تعود أرض إسرائيل بتمامها وإلى الأبد..»

وفي خطاب ألقاه بن غوريون –وكان وزيراً للدفاع- بمناسبة إعلان قيام الدولة اليهودية على القسم الذي تمت سيطرة يهود ليه من أرض فلسطين عام ١٩٤٨م، قال: «أما السيف الذي أعدناه إلى غمده، فإنه لم يعد إلا مؤقتاً. إننا سنستله حين تتهدد حريتنا في وطننا، وحينما تتهدد رؤى أنبياء التوراة، فالشعب اليهودي بأسره سيعود إلى الاستيطان في أرض الآباء والأجداد الممتدة من النيل إلى الفرات» (حياة بن غوريون: ص٣٢٧).

وفي عام ١٩٥٠م عندما صدر «قانون العودة» علّق عليه بن غوريون بقوله: «ليست دولة إسرائيل دولة يهودية فقط لأن اليهود يشكلون أغلب سكانها، إنها دولة لليهود أينما كانوا، ولكل يهودي يرغب في ذلك..» وينص هذا القانون على أن لكل يهودي أن يهاجر إلى إسرائيل، ويعتبر يهودياً كل شهص أمه يهودية أو اعتنقت الدين اليهودي، ولا يكون له دين آخر.. (الصفة اليهودية لدولة إسرائيل: ١٥٥-١٥٦). وكان بن غوريون وحرزب الماباي –وهو من الأحزاب العمالية- وراء قرار تدريس الدين كمادة إجبارية في البرامج الدراسية.. إلى جانب فرض اتخاذ اسم عبري لكل يهودي من يهود الشتات قادم إلى فلسطين، وفي ذلك يقول بن غوريون: «إن حياة اليهود في دولتهم الخاصة يجب أن تختلف كلياً وبالضرورة عن حياة إخوانهم في الأقطار الأخرى، وذلك في ميادين الثقافة والاقتصاد والوعي الذاتي، وفي نظرتهم نحو العالم ونحو أنفسهم، وفي علاقاتهم بالأمم الأخرى، وفي طابعهم الإنساني وصفاتهم، وفي طريقة معيشتهم.. تواجهنا اليوم صعوبات إذابة المهاجرين في الدولة، وعندما تصلنا دفعة جديدة من المنفيين، سواء أكانوا من أقطار إسلامية أم سوفييتية، فإن الصعوبات ستزداد وتشتد، ومع ذلك فإن الدولة ستجد الطرق للتغلب على مشاكل تمزق المجتمع وتنافر الثقافات، مع إدراكها أن ذلك ليس سهلاً.. في داخل الدولة ستزول الفوارق بين أنواع اليهود المختلفين بحكم مرور الزمن، وستذوب المجتمعات والقبائل في كيان ثقافي وطني واحد..». ويتابع قائلاً: «وأولى هذه المراحل تبدأ في ساعة وصول المهاجرين إلى فلسطين، إذ يرسَل إلى معسكرات خاصة بالمهاجرين الجدد، وتحدد له ضمن زمر خاصة صفوف يعطى فيها مبادئ اللغة العبرية وأصولها وما يحتاجه من مفردات تعينه على تدبير حياته..» حتى الجيش في دولة العدو له مهمات أخرى غير المهمات الحربية، ففي صفوفه «يلقّن الشباب اليهودي مواد خاصة تتضمن تقوية اللغة العبرية، ومعرفة جغرافية البلاد، ودراسة تاريخ اليهود، إضافة إلى مبادئ في الثقافة العامة والنظافة وحب الوطن..» (إسرائيل، الكتاب السنوي: ١٩٥٤م).

الدولة..

يعرّف بن غوريون (الدولة اليهودية) بعد أن أعلن استقلالها، فيقول: «إن دولة إسرائيل هي ذلك المكان الذي ولد فيه الشعب اليهودي، وإن أرض إسرائيل هي المهد الذي فيه تكونت الخصائص الروحية والدينية والقومية للشعب اليهودي.. في تلك الأرض كتبت التوراة التي قدمها الإله هدية إلى الإنسانية؛ وفي تلك الأرض تكونت الحضارة اليهودية ذات الطابع القومي العالمي في آن واحد.. إن اليهود لا يعودون إلى أرضهم فاتحين، وإنما يعودون إلى الأرض الموعودة من أجل صالح الإنسانية! نحن اليهود –وقد أعيدت إلينا حقوقنا- سوف نظل أوفياء إلى وظيفتنا الإنسانية التي كانت وسوف تظل وظيفة شعب التوراة..» (إطار الحركة السياسية في المجتمع الإسرائيلي: ١٥٧).

وفي نكبة حزيران ١٩٦٧ أتم يهود احتلال المدينة المقدسة «القدس» باستيلائهم على القدس الشرقية، ولم يدخلها وزير دفاعهم آنذاك «موشي دايان» إلا في أعقاب دخول الحاخام الأكبر للجيش الإسرائيلي «شلومو غورين» حيث أدوا صلاة الشكر عند حائط البراق الشريف «حائط المبكى» وكانت الهتافات المسجلة وقتها: «يالثارات خيبر..» تشق عنان السماء.. وهنا قال دايان: «اليوم فتحت الطريق إلى بابل٢[٣] ويثرب»، وفي آب/أغسطس من العام نفسه قال: «إذا كنا نملك التوراة، وإذا كنا نعتبر أنفسنا شعب التوراة فيجب أن تكون لنا أرض التوراة: بلاد القضاة، أرض أورشليم –القدس- وحبرون –الخليل- وأريحا وأماكن أخرى.. » (الجيروزاليم بوست: ١٩٦٧/٨/١٠).

---

[٣] بتاريخ ١٩٤٨/٥/٢١م كتب بن غوريون يقول: نقطة الضعف في التآلف العربي هي لبنان، فالسيادة الإسلامية فيها شيء مصطنع، ويمكن بسهولة قلبها رأساً على عقب، وينبغي إقامة حكومة نصرانية في هذا البلد تكون حدودها الجنوبية هي نهر الليطاني، وسنوقع معاهدة تحالف مع هذه الدولة، وبعد ذلك نحطم الفرقة العربية الأردنية، ونكون قد ثأرنا لأسلافنا من مصر وآشور والكلدان.. (تاريخ حياة بن غوريون: ١٣٩).

ويصف إسحاق رابين –رئيس الأركان يومها- دخولَه بيت المقدس عام ١٩٦٧ فيقول: «لقد كان احتلال القدس انتصاراً كبيراً لنا.. في حرب الاستقلال –عام ١٩٤٨- اضطررنا إلى ترك القدس الشرقية بأيدي العدو؛ ومنذ اندلاع حرب حزيران/يونيو كان صبرنا قصيراً، يجب ألا تضيع الفرصة التاريخية، وكلما كنا نقترب من حائط المبكى ازداد الانفعال، حائط المبكى الذي يميز إسرائيل.. لقد كنت أحلم يوماً بأن أكون شريكاً، ليس فقط في تحقيق قيام إسرائيل، وإنما في إعادة حائط المبكى إلى السيطرة اليهودية.. والآن عندما تحقق هذا الحلم تعجبت، كيف أصبح هذا ملك يدي؟ وشعرت بأنني لن أصل إلى مثل هذا السمو طيلة حياتي.. وصلنا إلى حائط المبكى.. توقفت أنفاسي قليلاً، لم أشهد في حياتي مثل هذا الشعور.. وأنا أشك فيما إذا كنت سأشعر بهذا الشعور فيما بعد.. لقد شعرت بأن الوقت هو وقت انتصار نادر.. إن حقبات حاسمة في حياتي ترتبط بالقدس، فقد ولدت فيها، وحاربت فيها عام ١٩٤٨م، وحلمتُ فيها بإقامة دولة يهودية..» (سجل خدمة، ص ٥ وما بعدها).

وقد علق صحفي فرنسي –جان نويل جورجان- على استيلاء اليهود على حائط المبكى بقوله: «دخل زلمان شازار رئيس الدولة المدينة المفتوحة، ووقف أمام حائط المبكى، ولأول مرة منذ عشرين قرناً يقف رئيس دولة عبرية مستقلة أمام معبد سليمان الكبير، وهذه هي عودة شعب داود إلى الأماكن العتيقة.. بل إن الإسرائيليين الملحدين ذاتهم تأثروا أيضاً بهذه الرموز الدينية، وهم لن ينتزعوا من القدس دون أن تدمى قلوبهم..» ماذا يعني هذا؟ ألا يعني أن الدين يشترك في تكوين الدافع الروحي لوجود المجتمع، وأن هذه قضية منفصلة عن التدين –في غير الإسلام طبعاً- حيث ينحصر التدين تقريباً في ممارسة طقوس معينة، وفي أماكن خاصة، وحيث يمكن أن تنتظم الحياة المدنية بعيداً عن هذه الطقوس؟ ومع ذلك تبقى حقيقة العصبية الدينية في هذه المجتمعات.. (أخطر من النكسة: ٧٩).

وبعد حرب حزيران/يونيو ١٩٦٧م ذهبت غولدا مائير رئيسة وزراء العدو إلى الولايات المتحدة لجمع تبرعات لصالح الدولة اليهودية، وكان مما قالته في الحفل الذي أقيم لذلك: «إسرائيل هي مركز وقاعدة كل شيء يهودي على وجه الأرض».

الوعد

في الثلاثين من أكتوبر/تشرين الأول ١٩٦٧م كتب مراسل «الغارديان» البريطانية يقول: «إن الأمر أ صبحت له قداسته الدينية. ففي عطلة الأسبوع أعلن الحاخام الأكبر أن أورشليم –القدس- وأراضي إسرائيل هي أماكن مقدسة بالنسبة إلينا، لقد وعدنا الله بالأرض، وكل ما تنبأ لنا به الأنبياء يحدث لنا.. وعلى ذلك فإنه محرّم على أي يهودي أن يفكر في إعادة أي جزء كان من أرض أسلافنا».

وفي تصريح أدلت له غولدا مائير لجريدة «لوموند» الفرنسية بتاريخ ١٥ أكتوبر/تشرين الأول ١٩٧١م، قالت: «وُجِد هذا البلد تنفيذاً لوعد الرب ذاته، ولهذا لا يصح أن نسأله إيضاحاً عن شرعية ذلك الوجود..».

أما بيغن رئيس وزراء دولة العدو السابق فقد قال في «أوسلو» ونشرت ذلك جريدة «دافار» الإسرائيلية بتاريخ ١٤ ديسمبر/كانون الأول ١٩٧٨م: «لقد وُعِدنا هذه الأرض ولنا الحق فيها». جاء في سفر التكوين، الإصحاح الخامس عشر، الآية: ١٨ «في هذا اليوم قطع الربّ مع إبرام –إبراهيم- ميثاقاً قائلاً: لنسلك أعطي هذه الأرض، من نهر مصر إلى النهر الكبير الفرات».

وعندما طرح ريغان الرئيس الأمريكي مبادرته للسلام في الشرق الأوسط!! بعث إليه بيغن برسالة يعقب فيها قوله: «سيدي الرئيس، إن ما يطلق عليه من قبل بعضهم: الضفة الغربية، هو يهودا والسامرة، وحقائق التاريخ البسيطة هذه لن تتغير أبداً. هناك من يحاول الالتفاف على التاريخ، ويمكن لهم الاستمرار بهذا الالتفاف كما يرغبون، ولكني سأتمسّك بالحقيقة التي تنصّ على أنه قبل ألفي عاماً كانت هناك مملكة يهودية في يهودا والسامرة.. هنالك سجد ملوكنا للرب، وهنالك تنبأ أنبياؤنا بالسلام الأبدي، وهنالك أنشؤوا حضارات غنية حملناها معنا في قلوبنا وأفكارنا، وفي تجوالنا لأكثر من ألف وثمانمائة سنة، وعُدْنا بها إلى وطننا.. من أجل صهيون لن أهدأ، ومن أجل القدس لن أسكت..» القدس التي يسمّيها أورشليم.

وفي أعقاب الاجتياح الإسرائيلي لجنوبي لبنان عام ١٩٨٢م واحتلالهم لقسم كبير من الأرض اللبنانية، وحصارهم للعاصمة بيروت، نشرت جريدة «هاآرتس» الإسرائيلية بتاريخ ٥ يوليو/تموز ١٩٨٢م على لسان حاخام في الجيش برتبة نقيب قوله: «علينا ألا ننسى أجزاء التوراة التي تبرر الحرب، فنحن نؤدي واجبنا الديني بوجودنا هنا، فالنصّ المكتوب يفرض علينا واجباً دينياً هو: أن نغزوا أرض العدو».

ألا يكفي هذا لإقناع بعض بني جلدتنا أن يهود إنما ينطلقون من رؤية دينية، توراتية، تلمودية، وعنها يصدرون؟ إن أي تحليل للتعاليم اليهودية نفسها من خلال التوراة المتداولة التي تعلن منذ البداية متى يرتفع اليهودي إلى مرتبة الكمال، بقولها: «وهكذا سوف يكون عندما تصل إلى الأرض التي أعطاها الإله لك كميراث، وتضع يدك عليها..» أو من خلال التلمود الذي يصرّح بأن «واجب كل يهودي هو أن يعيش في أرض إسرائيل، وأن هذا الواجب يعلو أي التزام آخر..» بل إن الديانة اليهودية تفرض على كل يهودي فرضاً مقدساً هو أن يساعد أولئك الذي استطاعوا أن يظلوا في أرض الميعاد، أو استطاعوا أن يعودوا إلى أرض الآباء.. (إسرائيل الكبرى: ٨٠) حتى في التبرعات التي لا يكلّ يهود ولا يملّوا في جمعها وإرسالها من مختلف بلدان الدنيا إلى دولتهم في فلسطين إنما ينطلقون من وصية توراتية بأن يساعد اليهودي أخاه اليهودي «والذي تعطيه لي سأردّه عشر مرات»؛ من هنا وجدنا أن ثمانمائة عائلة يهودية تعيش في مدينة بورت إليزابيث بجنوبي أفريقيا يتبرعون بعشرة ملايين مارك ألماني عندما وقف بينهم لويس ماكس يناديهم ويحثهم على التبرع بقوله: «أعطوا وأعطوا حتى يوجعكم العطاء.. حتى يؤلمكم العطاء..» وفي باريس استطاع روتشيلد أن يجمع من النصف مليون يهودي فرنسي أكثر من ثمانية وأربعين مليون مارك ألماني لتحوّل إلى أرض العدو.. وفي نيويورك بلغت

تبرعات الستة ملايين يهودي أمريكي لصالح العدو خلال العام ١٩٨٤م خمسمائة مليون دولار أمريكي دفعوها استجابة لطلب إدوارد جنسبارغ الذي كان يقول لهم: «إخواننا في إسرائيل يدفعون بأرواحهم ودمائهم وممتلكاتهم.. يدفعون دماءهم لإسرائيل.. أقل شيء نستطيع فعله: التبرع بسخاء.. وبسخاء لا حدود له» (القبس: ١٩٨٥/٥/٦م).

إن أي تحليل لهذه التعاليم اليهودية لابد وأن يقود إلى قوى فكرية ثلاث تكوّن الإطار العام لهذه التعاليم: صهيون-إسرائيل-التوراة.. أي: الأرض والشعب والدعوة. هذه العناصر الثلاثة تتداخل فيما بينها لتكوّن مثلثاً لا معنى لأي جزء منه مستقل عن الآخرين «لا معنى لإسرائيل من غير القدس، ولا معنى للقدس من غير الهيكل..» فهي تفرض علاقة لا تنفصل بين الأرض والتعاليم، بين الوطن اليهودي والشعب اليهودي، بين هذا الشعب والتعاليم الواردة في توراته وتلموده.. فكل يهودي خارج إسرائيل لم يحقق مثاليته، وكل تعاليم لا تنبع من التوراة هراء وسفسطة، وكل يهودي لا يرى انتهاءه إلى أرض الأجداد تعبيراً عن قدسية تعاليمه المنزلة مخالف لليهودية، منافٍ لدينه.. (إطار الحركة السياسية في المجتمع الإسرائيلي: ١٣٤).

إنهم يجهرون دون مواربة أو خوف، بل بفخر واعتزاز بأن «شعب إسرائيل لم يحافظ على السبت فحسب، بل إن السبت هو الذي حافظ على شعب إسرائيل» وإن فكرة أرض الميعاد، والمسيح الموعود، وشعب الله المختار هي التي حفظت عليهم ذاتيتهم ومنعتهم أن يذوبوا خلال فترة الشتات الطويل في الشعوب التي عاشوا بينها. يقول بن غوريون: «.. لقد كان نصيب شعبنا دائماً ان يقف كأقلية أمام الأكثرية، ولذلك ذكر أنبياؤنا منذ أكثر من ثلاثة آلاف سنة: أنكم أقل الشعوب جميعاً، ولذلك يجب على شعب إسرائيل أن يكون شعب قدرات وتفوق من الناحية الروحية، بحيث يستطيع أن يقف أمام شعب أكبر منه، وبدون التفوق الروحي لم يكن شعبنا يستطيع أن يبقى ألفي سنة.. وما بقيت من بقية بعد الشتات بين شعوب تكرهه، لأنه يختلف عنها وما استطاع إحياء وطنه بعد ألف وثمانمائة وثلاث عشرة سنة من هزيمته من ظروف تختلف عن ظروف إحياء واستقلال أية دولة في القرنين التاسع عشر والعشرين..» (أخطر من النكسة: ١٠٢).

من هنا جاء إصرارهم على أن تكون هذه الأرض، أرض الميعاد والتوراة، خالصة لهم من دون الناس جميعاً. كتب يوسف فايتز مدير الصندوق اليهودي المكلف بالاستيلاء على أرض فلسطين في يومياته عام ١٩٤٠م يقول: «يجب أن يكون واضحاً لنا أنه ليس هناك مكان لشعبين في هذا البلد، وإذا ترك العرب البلاد فإنها تكفينا لنعيش فيها.. وليست هناك وسيلة أخرى، فلا بد ان إخراجهم، ولا يصح أن نُبقي قرية واحدة لهم، أو قبيلة واحدة منهم: يجب أن نوضح لروزفلت –رئيس الولايات المتحدة يومها- ولكل رؤساء الدول الصديقة أن أرض إسرائيل ليست صغيرة إذا خرج منها العرب كلهم منها، وإذا ما وسّعت الحدود قليلاً نحو الشمال على طول الليطاني، ونحو الشرق على طول مرتفعات الجولان..» ولذلك أطلقوا على الحرب التي درات رحاها فوق الأرض المقدسة عام ١٩٤٨م اسم **حرب الاستقلال** أو **التحرير** انطلاقاً من أن «الله قد وهب شعبه المختار تلك الأرض..» وأن أتباع موسى وأبناء التوراة لا يسعهم إلا أن يستجيبوا لتلك الدعوة بالعودة إلى هذه الأرض «أرتز إسرائيل» التي سُلِبَت منهم بطريقة غير شرعية! ومن حقهم أن يعودوا إلى وطنهم الجديد! فهل نعي هذه الحقيقة؟

دعوات مستوردة وشعارات خادعة

وضوح الرؤية لدى يهود، وإصرارهم على أن العودة إلى صهيون يجب أن تسبقها عودة إلى اليهودية، وأنه ليس هناك ما يسمى «فلسطين» ولكن «أرض الميعاد» التي وعد إله إسرائيل بها «شعبه المختار» وتأكيدهم على أن «اليهود يريدون أن يعيدوا العبادة إلى الهيكل مكان المسجد الأقصى» (دائرة المعارف اليهودية) واستماتتهم لأجل سحب جثث قتلاهم من ميدان معاركهم في بلادنا ليدفنوا وفقاً للطقوس اليهودية في أرض الميعاد «جنتهم». ومبادلتهم الجثة أحياناً بأعداد كبيرة من أسرانا لديهم، وتأكيد مفكريهم وسياسييهم أن «الحياة الدينية اليهودية هي دون سواها سر خلود إسرائيل، وسيظل إسرائيل خالداً طالما بقي متعلقاً بالتوراة، فإذا هجر إسرائيل التوراة اندثر تاريخه في رمال الصحراء ولو ظل مقيماً في أرضه وبلاده.. لذا يجب أن تكون بلاد اليهود الناهضة خير خلف من الوجهة الروحية لبلاد اليهود، فرسالتها –قديمة كانت أم حديثة- هي أن تظل محافظة على شخصيتها وكيانها.. وأن «نهضة إسرائيل القومية، وإحياء الدين اليهودي أمران لا ينفصلان» هذا كله – للأسف- لا يقابله على الجهة المقابلة سوى الجري وراء السراب الخداع، والضياع، والتخبط، وغبش الرؤية.

يهودية وصهيونية

إن بعض الذين ينتسبون إلى العروبة والإسلام، وهم يدّعون الموضوعية، يحاولون التفريق بين اليهودية والصهيونية، وأن اليهودية تختلف عن الصهيونية٣[١].. في الوقت الذي تعرِّف فيه إسرائيل الصهيوني بأنه «اليهودي الذي يقيم في إسرائيل أو يستعد للهجرة إليها» (الأهرام: ١٩٦٧/٩/٢٦) ويعلن بن جوريون –أول رئيس وزراء لإسرائيل- في تقديمه لكتاب «تاريخ الهاجاناه» قائلاً: «في بلدنا لا يوجد مكان إلا لليهود.. وسنقول للعرب: اخرجوا من هنا.. وإذا أبدوا أية مقاومة فإننا سنخرجهم بالقوة» ويقول: «تستمد الصهيونية وجودها وحيويتها من مصدرين: مصدر عميق عاطفي دائم، وهو مستقل عن الزمان والمكان، وهو قديم قدم الشعب اليهودي ذاته، وهذا المصدر هو الوعد الإلهي والأمل بالعودة، يرجع الوعد إلى قصة اليهودي الأول٤[٢] الذي أبغلته السماء أن (سأعطيك ولذريتك من بعدك جميع أراضي بني كنعان ملكاً خالداً لك) هذا الوعد بوراثة الأرضي رأى فيه الشعب اليهودي جزءاً من ميثاق دائم تعاهدوا مع إلههم على تنفيذه وتحقيقه، والإيمان بظهور المسيح لإعادة المملكة أصبح مصدراً أساسياً في الدين اليهودي يردده الفرد في صلواته اليومية، إذ يقول بخشوع وابتهال: أؤمن إيماناً مطلقاً بقدوم المسيح، وسأبقى –حتى ولو تأخر- أنتظره كل يوم. أما المصدر الثاني، فقد كان مصدر تجديد وعمل، وهو ثمرة الفكر السياسي العملي الناشئ عن ظروف الزمان والمكان، والمنبعث من التطورات والثورات التي شهدتها شعوب أوروبة في القرن التاسع عشر، وما خلّفته هذه الأحداث الكبيرة من آثار عميقة في ا لحياة اليهودية».

وفكرة الحنين هذه إلى أرض الميعاد التي يذكرها بن جوريون هي عقيدة دينية جاءت في التوراة المتداولة بينهم، جاء في المزامير (١٣٧/١-٧): (على أنهار بابل هناك جلسنا.، بكينا أيضاً عندما تذكرنا صيهون.، على الصفصاف في وسطها علقنا أعوادنا..، لأنه هناك سألنا الذي سبونا كلام ترنيمة.، ومعذبونا سألونا فرحين قائلين: رنّموا لنا ترنيمات صهيون.، كيف نرنم ترنيمة الربّ في أرض غريبة؟ إن نسيتك يا أورشليم تنسني يميني، ليلتصق لساني بحنكي إن لم أذكرك، إن لم أفضل أورشليم على أعظم فرحي..)

كما جاء في سفر إشعيا (٣٥/١-١٠): (قولوا لخائفي القلوب تشددوا لا تخافوا، هو ذا إلهكم، الانتقام يأتي، جزاء الله هو يأتي ويخصلكم، ومعذبو الرب يرجعون إلى صهيون بترنم وفرح أبدي على رؤوسهم، ابتهاج وفرح يدركانهم ويهرب الحزن والتنهد). وفيه أيضاً (٤٩/١٤-٢٦): «وقالت صهيون قد تركني الرب وسيدي نسيني؛ هل تنسى المرأة رضيعها فلا ترحم ابن بطنها؟ حتى هؤلاء ينسين وأنا لا أنساك. هكذا قال السيد الرب ها إني أرفع إلى الأمم يدي، وإلى الشعوب رايتي فيأتون بأولادك في الأحضان، وبناتك على الأكتاف يحملن، ويكون الملوك حاضنيك وسيداتهم مرضعاتك، بالوجوه إلى الأرض يسجدون لك ويلحسون غبار رجليك، وأنا أخاصم مخاصميك، وأخلص أولادك، وأطعم ظالميك لحم أنفسهم، ويسكرون بدمهم كما من سلاف، فيعلم كل بشر أني أنا الرب مخلصك وفاديك..» وقد وجدت الصهيونية في هذا النص سنداً قوياً لزيادة الاقتناع بصحة ما تدعو إليه، واعتبرت نفسها تحقيقاً لمعجزته التي بدأت تتحقق على أيدي الصهيونية، فقد بدأت الأمم تأتي بأبناء اليهود وبناتهم إلى فلسطين، وذلك بصدور وعد بلفور (١٩١٧/١١/٢) وموافقة عصبة الأمم المتحدة عليه، ثم بتأييد الولايات المتحدة وفرنسا وإنجلترا وإيطالية وروسية..

وتأتي دعوة هؤلاء للتفريق بين اليهودية والصهيونية في الوقت التي تطبق فيه الصهيونية نصوص اليهودية على أرض الواقع في فلسطين والجولان وجنوبي لبنان و.. فالتوراة المتداولة مليئة بالنصوص التي تنمي روح العزلة لديهم وتقوي كراهيتهم لجميع البشر، فهم الشعب المختار صاحب العبقرية المتميزة: «أنا الرب إليهم ميّزكم من الشعوب» (لاويين: ٢٠/٢٤) «وقد ميزكم من الشعوب لتكونوا لي» (لاويين: ٢٠/٢٦) «لأنك شعب مقدس للرب إلهك: إياك قد اختار الرب إلهك لتكون له شعباً أخص من جميع الشعوب الذين على وجه الأرض» (تثنية: ٧/٦) حتى إن «بنسكر» صاحب كتاب «التحرر الذاتي» لا يجد مناصاً من تقرير أن «الشخص الذي لا

---

٤ [1] أثيرت هذه القضية علناً، وبشكل جماهيري، في أعقاب نكبة الخامس من حزيران ١٩٦٧م، وتمكنت دولة العدو من السيطرة على فلسطين بأكملها والجولان وسيناء.. وتولت كبرها مجلة «الطليعة» التي كانت تصدر في القاهرة، وكان مدير تحريرها آنذاك زوجاً لبنت أحد زعماء الحركة الصهيونية –يهودي رأسمالي صودرت أمواله في مصر.

٤ [2] (ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً..)

يقول: إن الشعب اليهودي هو شعب الله المختار، لا بد أن يكون أعمى» (ص: ٤٨) بل إن «موسى هيس» صاحب كتاب «روما والقدس» يعتبر أن اليهودية هي أساس النظرة المعاصرة للحياة العالمية ليصل إلى القول بأن «اليهود وحدهم شعب الله» (ص: ٣١-٣٢) مما حدا بهم إلى احتقار الأمم الأخرى والتعالي عليها، خاصة وأن التلمود يقول: «نحن شعب الله في الأرض، سخر لنا الحيوان الإنساني، وهو كل الأمم والأجناس، سخرهم لنا، لأنه يعلم أننا نحتاج إلى نوعين من الحيوان، نوع أعجم، كالدواب والأنعام والطير، ونوع كسائر الأمم من أهل المشرق والغرب.. إن اليهود من عنصر الله كالولد من عنصر أبيه، ومن يصفع اليهودي كمن صفع الله.. يباح لإسرائيل اغتصاب مال أي كان، وإن أموال غير اليهود كالمال المتروك يحق لليهودي أن يمتلكه.. وكما أن بني الإنسان يسمُون على الحيوانات فإن اليهود يسمون على شعوب الأرض جميعاً». (إسرائيل: فكرة، حركة، دولة: ص٢١). هذا التمييز في النظر والتعامل نجده صريحاً في التوراة المتداولة، جاء في سفر التثنية (٢٣/١٩-٢٢): «لا تقرض أخاك بربا، ربا فضة أو ربا طعام أو ربا شيء مما يقرض بربا. للأجنبي تقرض بربا، ولكن لأخيك لا تقرض بربا، لكي يباركك الرب إلهك». وهذا يستتبع نشوء نظرة عدوانية لا شفقة فيها ولا رحمة، فكيف إذا ارتبط هذا الأمر بالقتل والتدمير والفتك والإرهاب؟ جاء في سفر التثنية (٢٠/١١-١٦): «حين تقترب من مدينة لكي تحاربها استدعها إلى الصلح، فإن أجابتك إلى الصلح وفتحت لك أبوابها، فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ويستعبد لك، وإن لم تسالمك، بل عملت معك حرباً، فحاصرها، وإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف.. هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جداً التي ليست من مدن هؤلاء الأمم هنا، وأما المدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب إليهك نصيباً فلا تستبق منها نسمة ما».

إن يهود وهم يتقدمون إلى فلسطين وغيرها من أراضينا جاؤوا يتغنون بنداء التوراة المتداولة بين أيديهم، يحدوهم الأمل ببناء «مملكة الله» واستعباد الشعوب.. «وبرائحة سروركم أرضى حين أخرجكم من بين الشعوب، وأجمعكم من ا لأراضي التي تفرقتم بها، وأتقدس فيكم أمام عيون الأمم، فتعلمون أني أنا الرب حين آتي بكم إلى الأرض التي رفعت يدي لأعطي آباءكم إياها..» (حزقيال: ٢٢/٤١-٤٢) «هكذا قال رب الجنود: ها أنذا أخلص شعبي من أرض المشرق، ومن أرض مغرب الشمس، وآتي بهم فيسكنون في وسط أورشليم، ويكونون لي شعباً وأنا أكون لهم إلهاً». (زكريا: ٨/٧-٨).

هذه النصوص وغيرها كثير في أسفار اليهود المقدسة٥[٣] التي تدعوا إلى استئصال الأعداء، رجالاً ونساءً وأطفالاً، بل تمتد الدعوة إلى استئصال الحيوانات والنباتات والممتلكات جميعها، أي: الإبادة الشاملة للبشر وسواهم.. هي التي تربّى عليها الناشئة اليهودية منذ نعومة أظفارها في (الجيتو) اليهودي، وتنشأ الشبيبة في ضوئها وهداها، وازداد هذا بعد قيام الدولة على جزء من أرض فلسطين عام ١٩٤٨م، فنجد الاهتمام بالدين اليهودي واللغة العبرية اهتماماً يفوق اهتمام أي دولة أخرى بدينها ولغتها، يستوي في ذلك أقصى اليمين وأقصى اليسار، وهو ما عبر عنه أستاذ التربية وعميد الجامعة العبرية بقوله: «إن أكبر كمية من الدراسة هي: الثقافة العبرية الكلاسيكية، كما هو معبّر عنها في التوراة، وفي الأدب العبري القديم والحديث، وهذا هو الحبل المشترك القوي والإنساني الذي يوحد جميع اليهود، ويكوّن لهم تقاليدهم المشتركة، وقد حصص لهذه المواضيع بين ثلث إلى نصف وقت التدريس، وفي جميع المدارس سواء كانت تتبع المنهج الرسمي الديني أو العام، من أقصى اليمين الأرثوذكسي إلى اليسار المتطرف العلماني الاشتراكي يوجد تركيز كبير على التوراة في أصولها العبرية، لأن التوراة في إسرائيل ليست فقط الأدب القومي الكلاسيكي والمحتوى الأساسي للتقاليد الروحية والأخلاقية، ولكن لأنها أيضاً مصدر التاريخ القومي، وجغرافية ا لوطن، وطرق المعيشة «الفولكلورية» المتشركة واللغة العبرية الحية..» (تعليم العرب في إسرائيل: ٤١-٤٢) فكيف يمكن التفريق بين الدعوة اليهودية والصهيونية، وما هو المقياس الذي يمكن أن يستخدم لتحقيق هذا الأمر؟

لقد عاش يهود بين ظهرانينا منذ فجر الدعوة الإسلامية، وتمتعوا بحقوق المواطنة الكاملة، وكانوا أهل ذمتنا، لم تمتد إليهم يد بسوء إلا إذا ارتكبوا ما يوجب القصاص، كما فعل بنو قينقاع عندما أرادوا كشف عورة امرأة مسلمة في سوقهم، وبنو النضير عندما تحالفوا مع المشركين العرب للقضاء على الإسلام والمسلمين.. وكانت العقوبة لا تنال إلا الذين يستحقها، لأنه في ديننا (ولا تزر وازرة وزر أخرى) (ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى).

إن الصهيونية هي التطبيق العلمي للقيم اليهودية المستمدة من التوراة والتلمود المتداول بين أيدي يهود.. هذه القيم هي التي جعلت يهود يأتون من مختلف بلدان الدنيا إلى فلسطين لتشريد أهلها واغتصاب أرضها لتحقيق مملكة إسرائيل الكبرى وبناء هيكل سليمان.. حتى إننا لنجد الزعماء اليهود الذي يصفهم دعاة التفريق بأنهم غير صهاينة ليسوا سوى أفراد عصابات ساهمت بالقتل والتشريد. من هؤلاء مثلاً: **شتيرن** وهو الذي قتل الكونت **برنادوت** الوسيط الدولي في فلسطين عام ١٩٤٨م لأنه لم يحقق ما يريده يهود منه.

و**عاموس كنعان** كاتب يهودي وعضو في عصابة **شتيرن**. و**يوري أفنيري** إرهابي قديم من منظمة **أرغون**، و**إريك رولو** يهودي مصري، إرهابي، طرد من مصر في أعقاب فضيحة «لافون» واسمه الحقيقي **إلياهو رفول** الذي تحول بعد نزوحه إلى فرنسة إلى **إريك رولو** الكاتب الصحفي الخطير في جريدة «لوموند» وخبير شؤون الشرق الأوسط في الخارجية الفرنسية، ولإذاعة وتلفزيون باريس.

و**ماتيتيا هوبيليد** قاتل في صفون الهاجاناه منذ نعومة أظفاره عندما كان في سن الخامسة عشر... (انظر صحوة الرجل المريض: ٢٢٣-٢٢٤).

---

٥ [3] انظر سفر يشوع، وهو المقرر بصورة إجبارية في المناهج المدرسية على الناشئة والمعتمد من الحاخامية العسكرية في جيش العدو، لتجد كيف يركز على «الإبادة المقدس» من ذلك مثلاً: «وحرّموا كل ما في المدينة من رجل وامرأة، من طفل وشيخ، حتى البقر والغنم والحمير بحد السيف» (الإصحاح السادس/٢١).

الفرز الطبقي

ومن هذه الدعوات المشبوهة: ضرورة فهم التقسيم الطبقي اليهودي في فلسطين المحتلة، وضرورة التعرف على الصقور والحمائم، وتصنيف الطبقة الحاكمة في صف الإمبريالية، والطبقة المحكومة في صف الكادحين من فقراء العالم، والوقوف إلى جانب الطبقة الكادحة ضد البرجوازية، لأن هذا الأمر في الذي يمكن أن يقدم الحل الأمثل للقضية الفلسطينية، حيث يمكن أن تتحول دولة العدو إلى دولة تقدمية، ويقول الدكتور حامد ربيع معلقاً: «هذا المنطق هو الذي بدأت تردده الدعاية الإسرائيلية عقب نكبة حزيران ١٩٦٧م وسقوط القدس بأيديهم، وبشكل خاص عقب مبادرة روجرز وتحت ستار الانفتاح على اليسار الإسرائيلي، وهو منطق استطاعت أن تخطط له الدعاية الإسرائيلية بدقة ونجاح، وغايتها: إضعاف إرادتنا في المواجهة من جانب، والتسرب في سبيل إيجاد المصالح المتكاتفة والمترابطة مع الوجود الإسرائيلي من جانب آخر.. الأدوات كانت عديدة، ولكن أحدها كان التلاعب بفكرة اليسار في المجتمع الإسرائيلي، ووقع في هذا الخطأ –وليكن بحسن نيه- بعضُ المفكرين العرب، ولو أنهم عادوا إلى المؤلفات العلمية الصادرة عن علماء صهاينة ينتمون إلى الجامعات العبرية نفسها لوجدوا أنهم ينفون عن الأحزاب الإسرائيلية التي يصفونها باليسارية، ويعلنون أن المنطق اليساري لا وجود له في الأيدلوجية الصهيونية، ويصير هذا التحليل أكثر وضوحاً وصراحة في مؤلَّف الإسرائيلي «أنتنوفسكي» الذي يعلن أن «عملية التمييز بين اليسار واليمين لا يمكن في المجتمع الإسرائيلي إلا أن تقود إلى نتائج مشوهة» (إطار الحركة السياسية في المجتمع الإسرائيلي: ص١٩).

ولمعرفة الحقيقة كما هي دون زيف، يجب التذكير بأن كارل ماركس كان قد تعاون تعاوناً وثيقاً مع موسى هيس صاحب كتاب «روما والقدس» الذي وضع فيه أسس الاشتراكية الصهيونية، وهو من أوائل دعاة الصهيونية والعودة إلى فلسطين، حتى إن **لوكاتش** المفكر الاشتراكي عدّ «هيس» سلفاً لماركس، بينما كان «هيس» يعتبر ماركس مثله الأعلى، وقد ذكر ذلك من خطاب إلى صديقه «برتولد أورباخ». ومن المعروف أن رئيس الدولة الشيوعية الأولى في العالم كله «زينو فييف» كان يهودياً، واسمه الصهيوني «أبفلبوم»، وكذلك رئيس البوليس السياسي «ياجودا» أو «يهودا» ووزير الخارجية «ليتفينوف» واسمه الصهيوني «فنكلشتين». ولم يكن في الدولة السوفيتية من الزعماء الكبار سوى لينين وستالين من الروس الذي لا يدينون باليهودية، ولكن لينين كان نصف يهودي واسمه «إيليانوفيتش» وستالين كان صهراً لكاجانوفيتش الصهيوني.. وقد أعلن «جاكوب شيف» اليهودي صاحب الملايين أنه أمد «تروتسكي» بالمال لإقامة الدولة الشيوعية، وثبت أن صاحب الملايين «ماكس ووربورغ» في ستوكهولم كان الواسطة القريبة لتزويد «تروتسكي» بالمال كلما احتاج إليه. (الصهيونية العالمية: ص٧٨-٧٩) وأغلب الظن أن يهود –كعادتهم في المراهنة على عدة جياد وبوقت واحد- الذين نادوا بالاشتراكية في القرن التاسع عشر وجدوا في هذه الأفكار مطية تقربهم من هدفهم، ووسيلة لستر الكثير من نواياهم. يقول عباس محمود عقاد رحمه الله: «لقد تأسست حكومة إسرائيل في فلسطين، وهم –اليهود- لا ييأسون من تسخير الشيوعية لتأييدهم في المجامع الدولية، وتسخيرها من جهة أخرى لتخويف دول الغرب، وتهديدها بالتحول إلى جانب الكتلة الشرقية إن لم تسعفهم بالمال والسلاح والمعونة الدولية.. وظهر أثر هذا سريعاً على ساحة القضية الفلسطينية عندما وقف «أندريه غروميكو» وزير خارجية الاتحاد السوفييتي سابقاً، ورئيس وفده في الأمم المتحدة يومذاك، في ١٩٤٧/٥/١٥م ليقول: [إن الدول الغربية قد أثبتت عجزها في الدفاع عن الحقوق الأولية للشعب اليهودي، وهذا ما يبرر طموح اليهود إلى إنشاء دولتهم بأنفسهم، ومن غير العدل ألا نوافق على هذا الطموح، أو أن ننكر حق الشعب اليهودي في تحقيق ما يصبو إليه]. وعندما سارعت الأحزاب الشيوعية العربية في سورية ولبنان وفلسطين والأردن والعراق و.. بإعلان تأييدها لقرار تقسيم فلسطين إلى دولتين عربية ويهودية، بين اللص والضحية، ورفضت أن تحارب مع أبناء جلدتهم ضد المعتدين اليهود الذي قدموا من بقاع مختلفة من العالم لأن «غروميكو» نفسه قال في ١٩٤٨/١١/٦م: [إن الهجوم العربي على الشعب اليهودي المسالم يعتبر عملاً وحشياً ضد شعب لا يريد سوى تقرير مصيره!] ونكاد نجد الحجة نفسها في بيانات الأحزاب الشيوعية العربية، وعلى سبيل المثال أعلن الحزب الشيوعي العراقي أن [الشعب العراقي يرفض بإباء أن يحارب الشعب الإسرائيلي الشقيق! لا مصلحة في الحرب للكادحين العرب واليهود بل للبرجوازية العربية العفنة!] ألا يوجد برجوازية يهودية عفنة؟» (صفحات مجهولة من تاريخ الأحزاب الشيوعية العربية، من تأليف شيوعيين سابقين هما: محمد على الزرقا، وإلياس مرقص).

وجاء في كتاب (أضواء على القضية الفلسطينية) الذي أصدره الشيوعيون في العراق ما يلي: «فلتسقط الحرب بين العرب واليهود لإحباط خطط الاستعمار والرجعية ولْتَحْيَ ا لصداقة العربية اليهودية!».

هذا كله في الوقت الذي حمل فيه الشيوعيون اليهود السلاح وجاؤوا غزاة لفلسطين مع بني جلدتهم –مهما كانت انتماءاتهم الظاهرية- جاؤوا من مختلف دول العالم إلى بلد لم يولدوا فيه، ولا صلة لهم به، لتحقيق العودة إلى أرض الميعاد –حسب الوعد المبرم الذي تورده التوراة المتداولة- وهم الذين يعلنون الإلحاد، لم يخرجوا قيد أنملة عن الخطوط العريضة لدولة العدو، والأدهى من ذلك أنهم استخدموا صلاتهم ونفوذهم لدى الدوائر الشيوعية العالمية لخدمة هذه الأهداف. جاء في صحيفة «أخبار فلسطين» نقلاً عن صحيفة إسرائيلية بتاريخ ١٩٦٥/٤/١٩م ما يلي: «إن الوطنيين العرب –في إسرائيل- وقعوا في خطأ كبير عندما ظنوا أن الحزب الشيوعي يتخذ مواقف على ضوء السياسة التي تنتهجها دول المعسكر الشرقي تجاه القضايا العربية، لا سيما وأن تلك الدول تدأب على تأييد القضايا العربية! ولكن سرعات ما خاب أمل العرب عندما تضامن الحزب الشيوعي في إسرائيل مع باقي الأحزاب الأخرى في البرلمان اليهودي –الكنيست- وشجب تصريحات «والتر أولبرخت» ٦[٤] أثناء وجوده في القاهرة، تلك التصريحات التي أعلن فيها عدم اعترافه بوجود الدولة اليهودية، وكذلك تحدث «موشيه سينه» أحد زعماء الحزب عن عدم اعتراف الحزب الشيوعي اليهودي بمنظمة التحرير الفلسطينية، وأعلن تضامنه مع بقية الأحزاب في محاربة أهداف منظمة التحرير..»

٦[4] الحاشية: رئيس دولة ألمانيا الشرقية، وقد قال «شو إن لاي» رئيس وزراء الصين السابق لوفد منظمة التحرير: «إن الروس يتظاهرون بأنهم يعطونكم بعض التأييد، بل ربما ذهبوا إلى أبعد من ذلك فأوهموكم بأنهم يحملون السلاح معكم، ولكن احذروا من ذلك، وتأكدوا أن البندقية التي يحملها الروس معكم هي غير محشوة، إنها فارغة..

ويمكن أن يزول العجب إذا تذكرنا أن معظم –إن لم نقل كل- مؤسسي وقادة الأحزاب الشيوعية في الوطن العربي كانوا من اليهود: ففي مصر مثلاً كان هناك أربعة تنظيمات شيوعية، رؤساؤها كلهم يهود: «هنري كورييل»، «إيلي شوارتز»، «أوديت» وزوجها «سلامون سدني»، «يوسف درويش» و«ريمون دويك». كذلك فإن السكرتير العام للجنةالمركزية للحزب الشيوعي اللبناني السوري «جاكوب تيبر» يهودي جاء من فلسطين ليترأس الحزب، وعندما تشكلت قيادة جديدة برئاسة خالد بكداش ثم اختيار فرج الله الحلو حيث أرسل إلى تل أبيب للتنسيق، كما تم استقدام «نخمان ليفنسكي» اليهودي ليكون مستشاراً للقيادة الجديدة.. (صفحات مجهولة). إن الغاية من مثل هذه الدعوات المشبوهة والمضللة: إبعاد الإسلام عن ساحة القضية المقدسة؛ لقد درسوا التاريخ، تاريخ صراعهم مع النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين، وتاريخ الغزو الصليبي، ووعوا درسه، بل إنهم شكلوا لجنة لدراسة ظاهرة »صلاح الدين الأيوبي« رحمه الله لتفادي ظهورها من جديد.. وذهبوا إلى حد استعداء الدنيا بأسرها ضد الصحوة الإسلامية: »إن عودة الروح الدينية للظهور من جديد في المنطقة تشكل تهديداً مباشراً لمستقبل إسرائيل ولمستقبل الحضارة الغربية بأسرها.. إن على اليهود وأصدقائهم أن يدركوا أن الخطر الحقيقي الذي تواجهه إسرائيل هو خطر عودة الروح الإسلامية إلى الاستيقاظ من جديد.. وإن على المحبين لإسرائيل أن يبذلوا جهدهم كله لإبقاء الروح الإسلامية خامدة، لأنها إذا اشتعالت من جديد فلن تكون إسرائيل وحدها في خطر، ولكن الخضارة الغربية كلها ستكون في خطر«. (من تعليق للإذاعة اليهودية: ١٩٧٨/٩/٥م).

وإبعاد الإسلام عن ساحة القضية المقدسة لا يكون إلا بمثل هذه »المستوردات« من هنا وهناك، وإلا فما الذي دفع يهود إلى أن يهجروا الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي وبولندا وغيرها من دول أوروبا الشرقية والغربية.. والقدوم إلى فلسطين للاستقرار والإقامة فيها؟ وإن كان حقاً منهم من يعادي الصهيونية كما يدّعون، فلمَ لا يعودون إلى بلدانهم الأصلية؟ لمَ يصرّون على البقاء في فلسطين وتشريد أهلها، وينطلقون في كل ما ينادون به من منطلق الحفاظ على دولة إسرائيل والتمكين لها في الأرض؟

وأخيراً: فإن يهود، وهم يتقدمون نحو الأرض المقدسة، رجالاً ونساءً، شيباً وشباباً، جاؤوا يتغنون بنداء التوراة على اختلاف انتماءاتهم الظاهري، يحدث هذا في اوقت الذي نجد فيه بعض من يسمون عندنا برجال الفكر والمثقفين يخجلون من مجرد الانتساب إلى الإسلام، ويبذلون ما في وسعهم لرفع شعارات ودعاوى تصرف أذهان الناشئة المسلمة عن حقيقة الصراع الدائر على الأرض المقدسة.. يراهنون على الصراع الطبقي وضرورة الوقوف مع الكادحين اليهود رغم احتلال أرضنا، ويسخّرون وسائل الإعلام المختلفة للدعوة إلى التفريق بين اليهودية والصهيونية.. هذه التفرقة ليست مهمة العرب والمسلمين، فهم الضحية المعتدى عليهم، ولكنها مهمة اليهود أنفسهم –إن كانوا صادقين- من خلال المواقف العملية التي يتخذونها ضد اليهود الذين اغتصبوا فلسطين وغيرها من أراض عربية مسلمة وشردوا أهلها.. فهل فعل هؤلاء شيئاً من هذا؟

إن الصهيوني كما يقول الشيخ محمد الغزالي: »ليست وليدة بحث اليهود عن وطن لهم بعد ما أحسوا وحشة الغربية في أرض الله الواسعة.. فقد وسعتهم بلدان شتى،وعاشوا فيها جزءاً من أبنائها الأصلاء، ووصلوا إلى درجة فاحشة من الثراء، ومناصب كبيرة في الحكم.. ولكنه رجحوا نداء دينهم على علاقاتهم بأوطانهم وآثروا التجاوب مع توراتهم وتلمودهم على الذوبات في الوطنية الأمريكية أو الروسية أو الألمانية أو.. سيرتهم في مختلف القارات واحدة، ونزوعهم إلى خدمة عنصرهم ديدنهم في كل مكان وزمان..« فهل يعي العرب والمسلمون هذه الحقيقة؟